في رحاب سورة الأحزاب

أ. د. السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

فى رحاب

سورة الأحزاب

أ د / السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سورة الأحزاب

أولًا: معانى المُفردات:

ٱتَّقِ ٱللَّهَ	دم على تقوى الله وازدد منها.
وَكِيلًا	حافظًا مُتَوَلِّيًا كل أمورك.
تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ	بتحريمهن على أنفسكم تحريمًا مؤبدًا، يقول أحدهم لزوجته: أنت عَلَيَّ كظهر أمِّي.
أَدۡعِيَآءَكُمۡ	جمع دَعِيٍّ، وهو الذي يُدْعَى ابنًا لغير أبيه وكان الرجل يتبنى ولد غيره ويجري عليه أحكام البنوة النَّسَبِيَّة، ومنها حرمة تزوجه بمطلقته كما تحرم زوجة الابن النَّسَبِي على أبيه، فأبطل الله عز وجل هذا التَّبَنِّي.
ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ	انسبوهم لآبائهم الأُصَلَاءِ دون غيرهم.
أَقۡسَطُ	أعدل.
وَمَوَٰلِيكُمۡ	أولياؤكم فى الدين.
وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم	لا إثم عليكم فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عَمْدٍ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ	من نسبة الأبناء إلى غير آبائهم مع علمكم بذلك.
أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ	أحق بهم من أنفسهم فى الطاعة.
وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ	كأمهاتهم فى وجوب تعظيمهن، وحرمة نكاحهن بعده ﷺ حرمة مؤبدة.
مِيثَٰقَهُمْ	العهد الوثيق وهو تبليغ الرسالات.
مِّيثَٰقًا غَلِيظًا	عهدًا شديدًا على الوفاء.
جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ	وهم قريش، وبنو أسد، وغطفان، وبنو عامر، وبنو سليم، وبنو قريظة، وبنو النضير.
مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ	من أعلى الوادى من جهة المَشرق، ومن أسفل الوادى من جهة المَغرب.
زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ	شخصت دَهَشًا من فرط الهَول والحيرة.
وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ	كناية عن شدة اضطراب القلوب من عظم الفزع والخوف.
هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ	اختبر الله المُؤمنين بالخوف والجوع وشدة الحصار، ليتبين المُخلصون من المُنافقين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَزُلۡزِلُواْ	اضطربوا كثيرا من شدة الفزع.
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ	من النصر والظفر.
غُرُورًا	باطلًا من القول.
يَثۡرِبَ	اسم المَدينة المُنورة قديمًا.
لَا مُقَامَ لَكُمۡ	لا مكان إقامة لكم ههنا.
فَٱرۡجِعُواْ	إلى بيوتكم بالمَدينة.
إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ	خالية ضائعة غير حصينة.
مِّنۡ أَقۡطَارِهَا	جوانبها ونواحيها.
سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ	طُلِبَتْ منهم مقابلة المُسلمين.
لَأَتَوۡهَا	لأعطوها وفعلوها.
وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ	ما تأخروا بالفتنة إلا زمنًا يسيرًا.
إِلَّا يَسِيرًا	قدر ما يأخذون أسلحتهم، وهو تمثيل لإسراعهم إلى القتال، وهم فى أشد حال إذا ما دُعُوا لمُقاتلة المُسلمين لِفَرَطِ كراهِيَتِهِم لَهُم.
يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ	يحميكم منه ويمنعكم من قدره.

ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ	المُثَبِّطِينَ عن القتال، الصارفين الناس عن نصرة الرسول ﷺ وهم طائفة المُنافقين.
هَلُمَّ إِلَيْنَا	تعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة والأمن والدَّعَة ولا تشهدوا مع محمد قتالًا فإنا نخاف عليكم الهَلاك.
ٱلْبَأْسَ	الحرب.
أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ	بخلاء عليكم بالنصرة والنفقة فى سبيل الله والمُعاونة فى حفر الخندق.
تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ	بأحداقهم يمينًا وشمالًا دون أن تطرف.
يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ	كدوران عَيْنَيّ الذى تغشاه سكرات المَوت لذهوله وشدة خوفه.
سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ	بسطوا فيكم ألسنتهم النابية بالأذى والسَّبّ والتنقيص.
أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ	بخلاء حريصين على الغنيمة يُشَاحُّونَ المُؤمنين عند اقتسامها.
فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ	أبطل جهادهم لأنه لم يكن فيهم إيمان.

وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ	مرة أخرى بعد هذه المَرة.
يَوَدُّواْ	يتمنى هؤلاء المُنافقون.
لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ	أن يكونوا غَيْبًا عنكم فى البادية مع الأعراب حذرًا من القتل لشدة خوفهم وجبنهم.
أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ	خصلة حسنة يتأسى ويقتدى بها.
قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ	أدَّى نذره، ووفى بعهده مع الله عز وجل حتى استشهد فى سبيل الله.
وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم	عَاضَدُوا الأحزاب وعاونوهم على قتال المُسلمين وهم بنو قريظة حيث نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين الرسول ﷺ غدرًا وخيانة.
صَيَاصِيهِمۡ	حصونهم.
ٱلرُّعۡبَ	الخوف الشديد.
وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا	وأورثكم أرضًا لم تنزلوها بقصد القتال وهى خيبر.
أُمَتِّعۡكُنَّ	أُعطيكن متعة الطلاق.
وَأُسَرِّحۡكُنَّ	أطلقكن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَرَاحًا جَمِيلًا	طلاقًا خاليا من الضرار أو من الخصومة وهو التسريح بإحسان.
مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ	وَعْظٌ لنسائه ﷺ مع عصمة الله لهُن وطهارتهن من كل سوء.أى: من يأت منكن بمعصية ظاهرة القبح يضاعف عقابها، فإن المَعصية من رفيع الشأن أشد قبحًا فناسب أن يضاعف جزاؤها.
يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ	تخضع لله وتطيعه.
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ	أى: لو تْقَصَّيتَ أمة الناس جماعة جماعة لم توجد جماعة منهن يَعدلكن فى الفضل والسَّابقة.
إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ	أى دمتن على ما أنتم عليه من التقوى.
فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ	لا تُرَقِقْنَ الكلام ولا تُلِنَّهُ إن خَاطَبْتُنَّ الرجال.
فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ	فجور أو نفاق.
قَوْلًا مَّعْرُوفًا	حسنًا محمودًا بعيدًا عن الريبة والأطماع.
وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ	الزمنها فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة.
وَلَا تَبَرَّجْنَ	فلا تبدى إحداكن من زينتها ما أوجب الله عليها ستره لحرمة ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ	المُتَقَدِّمَة.
ٱلرِّجْسَ	الإثم والذنب والنقائص.
أَهْلَ ٱلْبَيْتِ	هم نساؤه ﷺ وأبناؤه.
وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ	ينزل فى بيوتكن من القرآن الجامع بين كونه آيات بينات دالة على صدق النبوة، وحكمة مشتملة على فنون العلوم والشرائع والحكم والمَواعظ والآداب والفضائل.
وَٱلْقَٰنِتِينَ	الطائعين الخاضعين لله عز وجل.
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ	أى: لا يحل لمُؤمن ولا مؤمنة.
إِذَا قَضَى ٱللَّهُ	أى: أراد أو حكم.
أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ	أن يختاروا من أمورهم ماشاؤوا، بل عليهم أن يذعنوا لأمره ﷺ.
لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ	هو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام.
وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ	وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق من الرق.
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ	أى لا تطلقها ضرارًا تَعَلُّلًا بحدتها وتكبُّرها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ	وهو ما أوحى الله عز وجل إليك أن زيدًا سيطلقها وتكون إحدى نسائك بتزويج الله إياها لك.
وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ	تستحى من قولهم، والله وحده أحق أن تخشاه أى تستحى منه فى كل أمر فتفعل ما أباحه الله لك وأذن لك فيه.
قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا	أى حاجة، وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها.
حَرَجٌ	ضيق ومشقة.
أَدْعِيَآئِهِمْ	مَنْ تَبَنَّوْهُم (قبل نسخ التبنى).
فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ	أى: فيما أحل الله له وأمره به من تزوج زينب التى طلقها دَعِيُّهُ زيد بن حارثة (رضى الله عنه).
سُنَّةَ ٱللَّهِ	أى: سَنَّ الله ذلك سُنَّة.
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ	مَضَوْا من قبلك من الأنبياء.
قَدَرًا مَّقْدُورًا	أى: واقعًا لا محالة. والقدر إيجاد الأشياء على قدر مخصوص من الوجوه التى تقتضيها الحكمة والمَصلحة.
حَسِيبًا	مُحاسبًا على عزائم القلوب وأفعال الجوارح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ	أى: أنه آخرهم وبه ختم الله الرسالات.
وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا	نزهوه عما لا يليق به فى وقت البكرة والأصيل، أى أول النهار وآخره.
يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ	الصلاة من الله على العباد: رحمته لهُم وبركته.
شَٰهِدًا	شاهدا على أمته، يشهد لمَن صدَّقه وآمن به، وعلى من كذَّبه وكفر به.
بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا	بأمره له بذلك وتقديره وليس من تلقاء نفسه أى أنه ﷺ يُستضاء بهديه فى ظلمات الضلالة، كما يستضاء بالمِصباح فى الظلمة.
وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ	لا تُبَالِ بما يصدر منهم إليك من الأذى.
فَمَتِّعُوهُنَّ	فأعطوهن المُتعة المَعروفة إن لم يكن لهُن مهر مسمى واستحبابا إن سمى لهُن مهر.
سَرَاحٗا جَمِيلٗا	إخلاء سبيلهن بالمَعروف من غير إضرار ولا إيذاء ولا هضم لحقوقهن.
ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ	أى اللاتى أعطيتهن مهورهن.
أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ	أى: أَرْجَعَهُ إليك من الغنيمة كجويرية وصفيَّة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَسۡتَنكِحَهَا	يصيرها زوجة له بلا مهر.
خَالِصَةً لَّكَ	أى: خاصة لك يا محمد دون المُؤمنين فإنه لا يحل لهُم التزوج بدون مهر، ولا تصح الهِبة، بل يجب مهر المِثل.
لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ	وسَّعنا عليك فى التحليل لك، لكى لا يكون عليك مشقة أو حرج.
تُرۡجِي	أى: تؤخرها عن ليلتها المُحددة لهَا فلا تضاجعها.
وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ	تَضُمُّ إليك وتضاجع.
ٱبۡتَغَيۡتَ	طلبت قربها بعد تأخيرها.
عَزَلۡتَ	اجتنبت بالإرجاء والتأخير.
فَلَا جُنَاحَ	لا حرج ولا مؤاخذة.
ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ	التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى سرورهن لعلمهن أنه بحكم الله.
لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ	لا يحل لك أيها النبى امرأة بعد اللاتى عندك الآن من بعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَآ أَن تَبَدَّلَ	ولا يحل لك كذلك أن تطلق واحدة ثم تأخذ بَدَلَهَا.
رَّقِيبًا	حفيظا ومُطَّلِعًا.
غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ	غير منتظرين وقت نضجه واستوائه.
فَٱنتَشِرُواْ	تفرقوا وانصرفوا ولا تمكثوا عنده.
وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ	ولا متحدثين بعد انتهائكم من الطعام إيناسًا من بعضكم.
فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ	أى: يستحى أن يأمركم بالانصراف.
وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ	أى : لا يترك بيان الحق.
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا	حاجة ينتفع بها.
لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ	لا حرج ولا إثم عليهن أن يُكَلِّمْنَهم دون حجاب.
يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ	يُثنون عليه بإظهار شرفه وتعظيم شأنه ﷺ.
ٱحْتَمَلُواْ	حَمَّلُوا أنفسهم ذلك.
بُهْتَٰنًا	فِعلا شنيعًا أو كذبًا فظيعا يبهت سامعه ويحيره.
وَإِثْمًا مُّبِينًا	ذنبا واضحًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ	يُرْخِينَ ويُسْدِلْنَ عليهن.
جَلَٰبِيبِهِنَّ	ما يُسْتَرْنَ به، وهو اللباس الواسع الذى يستر محاسنَ المَرأةِ وزِينَتَهَا في الصلاة وغيرها.
وَٱلْمُرْجِفُونَ	المُشِيعُونَ للأخبار الكاذبة.
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ	لَنُسَلِّطَنَّكَ عليهم.
أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ	فىأىمكانوجدواوأدركواوأمكنتالسيطرةعليهم.
أُخِذُواْ	أسروا وأخذوا على وجه الغلبة والقهر.
خَلَوۡاْ	مَضَوْا.
تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ	أى: تقلب ملائكة العذاب وجهوهم فى النار فإذا نضجت من جهة قلبوهم إلى الجهة الأخرى كاللحم يشوى بالنار.
سَادَتَنَا	قادتنا وأشرافنا.
ضِعۡفَيۡنِ	مِثْلَيْنِ لأنهم ضَلُّوا بأنفسهم، وأَضَلُّونَا معهم.
وَجِيهًا	ذا جاه ومنزلة تجعله مستجاب الدعوة.
قَوۡلًا سَدِيدًا	قولًا صادقًا يُقصد به الوصول إلى الحق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلْأَمَانَةَ	الفرائض والتكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المُنكرات وهى الصفات التى مَيَّزَ الله سبحانه وتعالى بها الإنسان عن غيره.
فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا	امتنعن عن حملها.
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا	خِفْنَ من الخيانة فيها.
وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ	أى: تَحَمَّلَهَا.
ظَلُومًا	شديد الظلم لنفسه.
جَهُولًا	خاليا من المَعرفة، مُبَالِغًا فى الجهل بعواقب الأمور.

ثانيًا: المَعانى العامة للآيات:

* التبنى فى الجاهلية والإسلام: الآيات (١-٥):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِـَٔابَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ﴾ (سورة الأحزاب: ١ـ ٥)

أمر الله تعالى نبيه الكريم بالتقوى واجتناب المَحارم، وحذره من طاعة الكافرين والمُنافقين، لأنهم أعداء الله ورسوله، وأعداء المُؤمنين، لا يؤتمنون على شيء، ولا يُستشارون فى أمر، فظاهرهم غير باطنهم، وصورتهم غير حقيقتهم، لذلك ينبغى الحذر منهم، وعدم الاستجابة لهُم، والإعراض عنهم، لأنهم فسقة خارجون عن طاعة الله عز وجل.

والخطاب وإن كان فى صورته موجهًا للنبى ﷺ، لكنه فى الحقيقة تعليم للأمة، وإرشاد لهَا، لتسلك طريق التقوى، وتعمل بهدى القرآن.

وقد استحدث أهل الجاهلية بدعًا غريبة، ومنكرات كثيرة، زعموا أنها من الدين، فنزل القرآن الكريم مبطلا لهَذه البدع، مُغَيِّرًا تلك الخرافات والأباطيل، بالحق الساطع، والبرهان القاطع، مقررًا الأمر، على أساس المَنطق السليم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيا أيها النبى: تجمل بالتقوى، وتمسك بطاعة الله، ولا تطع أهل الكفر والنفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل وعدم التعرض لآلهَتهم بسوء، فإن الله عالم بأحوال العباد، لا تخفى عليه خافية، واتبع ما يوحيه إليك ربك من الشرع القويم، والدين الحكيم، ولا تخشى وعيد أحد من المُشركين، فإن الله معك فتوكل عليه، والجأ فى جميع أمورك إليه، فهو الحافظ والناصر، ثم رَدَّ تعالى مزاعم أهل الجاهلية وما هم عليه من ضلال وعناد، فبين أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة المُظَاهَر منها أمًّا، ولا الولد المُتَبَنَّى ابنًا: لأن الأم الحقيقية هى التى ولدته: قال تعالى﴿ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ ﴾ (سورة المُجادلة: ٢) والابن الحقيقى هو الذى جاء من صلب ذلك الرجل، فلا يمكن لإنسان أن يكون له أبوان، فكيف يزعمون أن هؤلاء الزوجات أمهات وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناء لهُم، مع أنهم ليسوا من أصلابهم؟ ذلك هو محض الكذب والافتراء على الله، والله يقول الحق ويهدى إلى أقوم طريق.

ثم أمر تعالى بنسبة هؤلاء إلى آبائهم لأنه أعدل وأقسط، فقال: فإن لم تعرفوا أيها المُؤمنون آباءهم فهم إخوانكم فى الدين، وأولياؤكم فيه، فليقل أحدكم: يا أخى، ويا مولاى يقصد أخوة الدين وولايته، وليس عليكم

ذنب فيما أخطأتم به، ولكن الذنب والإثم فيما تعمدت قلوبكم، وكان الله غفورًا رحيمًا، يغفر لعباده زلاتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم.

* الإرث بقرابة الرحم: الآية (٦):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾

(سورة الأحزاب: ٦)

ثم أخبر البارى عباده المُؤمنين عن مقام النبى ﷺ الرفيع، وشرفه السامى، فبين أنه أحق بالمُؤمنين من أنفسهم، وأن حقه أعظم من حقوق أنفسهم عليهم، وأن أمره ينبغى أن يُقَدَّم على كل أمر، وحبه ينبغى أن يفوق كل حب، فلا يُعصى له أمر، ولا يُخالف فى صغيرة ولا كبيرة، لأن ذلك مقتضى ولايته العامة عليهم، فإذا دعاهم إلى الجهاد لبوا أمره مسرعين ولا ينتظروا أمر والد أو والدة، فإنه ﷺ بمنزلة الوالد لهُم، لا يريد لهُم إلا الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم.

وكما شَرَّف الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ فجعل حقه أعظم الحقوق، كذلك فقد شَرَّف زوجات الرسول الطاهرات، فجعلهن أمهات للمؤمنين،

فأوجب احترامهن وتعظيمهن، وحَرَّم نكاحهن على الرجال، إكرامًا لرسول الله ﷺ وحفظا لحرمته فى حياته وبعد وفاته، وذلك من الخصوصيات التى خص الله عز وجل بها رسوله الكريم، ثم بَيَّنَ سبحانه وتعالى أن ذوى الأرحام أحق بإرث بعضهم البعض من الغير، فالقريب النسيب أحق بميراث قريبه من الأجنبى البعيد، إلا إذا أراد الإنسان الوصية، فإن الأجنبى يكون أحق من القريب، لأنه لا وصية لوارث، وهذا الحكم: وهو توريث القريب دون الأجنبى هو حكم الله العادل، الذى أنزل دستوره، وكتابه المُبين، وجعله حكمًا لازما مسطرًا لا يمحى.

* العهود والمَواثيق على الرُّسُل بالتبليغ: الآيات (٧-٨):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ (سورة الأحزاب: ٧ ـ ٨)

لقد أخذ البارى سبحانه العهود والمَواثيق على الرسل ليقوموا بالنصح والتوجيه والإرشاد والتنبيه لِأُمَمِهِم، ويلاحظ أن النبى ﷺ قد قُدِّمَ على سائر الأنبياء ... وخص سبحانه أولو العزم وهم: رسولنا الكريم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام. لأنهم بذلوا وتحملوا ما

لا سبيل إلى تحمله. والمِيثاق الغليظ الشديد أخذه سبحانه أيضا على أهل العلم لبذل الخير، وتعليم الآخرين.

والكل مسؤول أمام الله عز وجل، الصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه سَيُسْأَلُونَ بأسئلة يَسْأَلُهَا الله عز وجل لمَن تصدى للدعوة إلى الله، ولمَن استمع إليها، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أخلص فى دعوته، ومن سمعها وعمل بها. أما الكافرون فقد هيأ الله عز وجل لهُم العذاب المُؤلم الذى يتناسب مع جحودهم وكفرهم.

* غزوة الأحزاب (الخندق): الآيات (٩-٢٥):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ
كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا
﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ
يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن
يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ
وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٩ ـ ٢٥)

يُذَكِّرُ الله سبحانه وتعالى عباده المُؤمنين بنعمته عليهم يوم الأحزاب ويحثهم على شكرها، لأنها كانت من أخطر الغزوات على المُسلمين، لأنها كانت غزوة استئصال حيث خُطط فيها إنهاء الإسلام فى أرض الجزيرة العربية، فتجمع فيها عشرة آلاف مقاتل من قريش وغطفان، ويهود بنى قريظة، وقبائل العرب بعدتهم، وخيولهِم، وحقدهم الدفين، ليطفئوا نور الله بأحزابهم العديدة. وكانت قبيلة خزاعة قد قطعت الطريق بين مكة والمَدينة تمهيدا للمعركة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المَشُورة وحفر الخندق:

تشاور النبى ﷺ مع الناس فى هذا الأمر الجلل، فكانت مشورة سلمان الفارسى بأنه كنا إذ تخوفنا من الخيل وحوصرنا، خندقنا عليها، فحمانا هذا الخندق من خيل العَدُوِّ. فأعجب النبى ﷺ وأصحابه بهذه الفكرة، وقاموا بِـحَفْرِه، يزيد طوله عن ستة كيلو مترات، وعمقه على ثلاثة أمتار وعرضه يزيد عن سبعة أمتار، بين جبلين.

وهو المَنفذ الإجبارى للمدينة، وبنو قريظة كانوا فى ظهر المُسلمين بالمَدينة، وبقية الجوانب تحميها الجبال المَنيعة.

وشارك النبى ﷺ أصحابه فى الحفر، وظهر الكثير من المُعجزات الدالة على نبوته ﷺ وأصاب المُسلمون فى الحفر: قَحْط، ومجاعة، وبرد شديد، وخوف حتى قال بعضهم: لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادًا.

فكان الرسول ﷺ يردد قول عبد الله بن رواحة:

اللّٰهُمَّ لا عيْش إلا عيْشُ الآخرة فأصلح الأنصار والمُهاجرة

وفى رواية:

اللّٰهُمَّ لا عيْش إلا عيْشُ الآخرة فاغْفر للآنصار والمُهاجرة

والصحابة يجيبونه:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وفى البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول وهو ينقل التراب، وقد وارى التراب جلدة بطنه متمثلا يقول ابن رواحة:

والله لولا الله ما اهتدَيْنا ولا تصدقَّنْا ولا صَلِّيْنَا

فأنـزلَن سكـينة عَليْـنا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلَى قد بغـوا علينا إذا أرادوا فتـنـة أبيـنـا

ورفع بها صوته. وأعادها ثلاث مرات: أَبَيْنَا، أَبَيْنَا ، أَبَيْنَا.

موقف الأحزاب من الخندق:

لَمَّا وصل المُشركون واليهود إلى الخندق، تفاجؤوا، وقالوا: والله إن هذه لمَكيده، وما كانت العرب تكيدها، وبدأت أحزاب الكفر تُرسل الطلائع ليلًا، وتغير على المُسلمين بالنَّبْل، وصار المُشركون يتناوبون، فَيَفِدُوا أبو سفيان فى أصحابه يومًا، وخالد بن الوليد فى أصحابه يومًا، وعمرو بن العاص يومًا، وعكرمة بن أبى جهل يومًا، وضِرَارٌ يومًا يجولون ويتحركون وهم حائرون فى هذا المَوقف الجديد. ورسول الله ﷺ يدعو الله ويقول: "اللَّهُمَّ ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم، واغلبهم، لا يغلبهم أحد غيرك" وتَنَادَى القوم بالمُبارزة، وخرج عَلِيّ لِمُبارزة عمرو بن عبد وُدّ، وضربه عَلِيّ ضربةً أو قعته غريقا فى دمه ... ثم نقض يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ بعد أن أغراهم حُيَيُّ بن أخطب زعيم بنى النضير ومزقوا العهد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسرى الخبر للنبى ﷺ واشتد البلاء والخوف بالمُسلمين كما قال سبحانه: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٩ ـ ٢٥)

وقال سعيد الخدرى لرسول الله ﷺ: يارسول الله، هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: "نعم، اللَّهُمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا"

رواه أحمد فى مسنده.

وقال ﷺ: "أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللَّهُمَّ منزل الكتاب، ومجرى السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" فكان يدعو بهذا الدعاء وقتها.

رياح النصر:

لقد جاء من غطفان نُعيم بن مسعود مُسْلِمًا بعد أن كان محاربا لرسول الله ﷺ وقد أجرى الله على يديه خيرًا كثيرا للمسلمين حيث قال له رسول الله ﷺ: "يا نعيم إنما أنت فينا رجل واحد، فاذهب إلى قومك، وخَذِّل عنا ما استطعت، فإن الحرب خُدعة"

ولعب دورًا خطيرا بين بنى قريظة والمُشركين حتى ساء ظنهما ببعضهما، وتنافر الطرفان، ثم نزل جبريل الأمين، على النبى سيد المُرسلين، فَبَشَّرَه أن الله سيرسل عليهم ريحًا وجنودًا، وأعلم النبى ﷺ أصحابه بذلك، فشكروا

الله عز وجل، وعُرف لأول مرة بعد شهرين فى وجهه السرور. قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(سورة الأحزاب:٩) إنها ريح عاتية، قلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، وأطفأت نارهم، وأصابتهم بالبرد والشديد، فَحَارُوا فى أمرهم، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، وفَرَّقَ بينهم، وشتت شملهم وجاءت المَلائكة فقاتلتهم من دون أن يروهم.

عبرة:

اعلم أن الله عز وجل يأخذ بيدك. وينجيك من كل هم وبلاء، وأنت فى أشد حالات الضعف، وعلى وشك الهَلاك والدمار ... يَارَبّ ، لا كرْبَ وأنت الربّ فالإنسان عند ما يعتمد على الله عز وجل، ويطيعه، ويحسن العلاقة به، يعيش فى حياة لا ترقى إليها حياة المُلوك. (لو يعلم المُلوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف) .

لقد خَسِئَ المُنافقون، وأصيبوا بالخزى والعار، لذلك فكن دائما فى خندق الحق لأن الله عز وجل هو الحق، ولأن الله عز وجل قوى عزيز ... وإذا كنت فى صف أعداء الحق فأنت مهزوم لا محالة، قال تعالى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾(سورة الإسراء:٨١).

* غزوة بني قريظة: الآيات (٢٦-٢٧):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(سورة الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧)

جاء الرسول ﷺ من الخندق إلى بيته بالمَدينة، فلما كان الظهر جاءه جبريل وقال له: "أو قد وضعت السلاح يارسول الله؟ قال: نعم. قال: فما وضعت المَلائكة السلاح بعد، إن الله يأمرك يا محمد بالمَسير إلى بنى قريظة، فجعل الرسول ﷺ من فوره مؤذنا يؤذن فى الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة"، ثم بعث عَلِيّ بن أبى طالب على رأس جماعة إلى بنى قريظة، حتى إذا دنا منهم اعتلوا حصونهم وصياصيهم وراحوا يشتمون محمدًا ﷺ ويسبون المُسلمين، ثم لَمَّا رأوا عَلِيًّا ظنوا أنهم قادمون لينذروهم، لكنهم رأوا جند المُسلمين قد وصلوا بقيادة الرسول ﷺ وحاصروهم، طاش لبهم، وأفقدهم الذهول حواسهم ومداركهم ... لم يَقْوُوا على احتمال شدة الحصار أكثر من أسبوعين، أو ثلاثة فاستسلموا فى النهاية للرسول ﷺ على شرط أن يقبل الفريقان ما يحكم به فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وإنما حَكَّمُوا سعدًا على أمل أن يرعى ما كان بينهم

وبين قومه من حلف فى الجاهلية فيكتفى بإخراجهم من المَدينة كما أخرج بنى قينقاع وبنى النضير من قبل، بل إن الأوسيين أنفسهم سألوا سعدًا أن يترفق بهم، لكن سعدًا كان قد رأى كيف أن بنى قينقاع وبنى النضير لَمَّا خرجوا من المَدينة حرضوا كل القبائل التى حولهَا فهاجموها فى قرابة اثنى عشر ألف رجل، وشاهد كذلك كيف غدرت قبائل اليهود (بنو قريظة) حين هاجم الأعداء المَدينة، وكيف تآمروا لإبادة المَدينة وإفنائها، لهَذا حكم سعد فيهم بأن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، ونفذ فيهم حكمه. فلما دخل المُسلمون حصونهم عرفوا أن هؤلاء الخونة جمعوا ألفا وخمسمائة سيف، وثلاثمائة أذرع، وَأَلْفَىّ رمح، وألفا وخمسمائة ترس، ليشتركوا فى معركة الأحزاب، ولولا تأييد الله عز وجل للمسلمين، لكان هذا العتاد الحربى كله قد استعمل فى الهُجوم على المَدينة من الخلف، فى اللحظة التى كان المُشركون يتهيؤون فيها لعبور الخندق والانقضاض على المُسلمين دفعة واحدة، وليس هناك أدنى شك بعد انكشاف هذا فى أن ما حكم به سعد كان حقا وعدلا من فوق سبع سماوات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧)

قبل التخيير:

كان الرسول ﷺ فى ذلك الوقت فى غاية الفقر وضيق اليد، فلم يكن له إلى السنوات الأربع الأول من الهِجرة أى مصدر للدخل، وكانت مسئوليات منصب الرسالة كبيرة وضخمة حتى كانت تستنفد كل قوى جسمه وقلبه وعقله وكل لَمْحَة من وقته، ولم يستطع بذل مثقال ذرة من التفكير أو الجهد لكسب عيشه، فكان بعيدًا عن مباهج الدنيا.

* التخيير: الآيات (٢٨-٣١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

(سورة الأحزاب: ٢٨ ـ ٣١)

فى هذه الأوقات العصيبة التى تمر على رسول الله ﷺ طالبت زوجاته رفع مستوى المَعيشة، وزيادة النفقة، فاغتم النبى ﷺ وحينما أصابه ما أصابه نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٨)، ولم يقل يانساء النبى، وكأن الله يُعاتبهن على إيذائهن لرسول الله ﷺ لأن هذه المُطالبة نوع من الأذى، وهذه الكلمة تحمل عتابًا. وإنما أصابه هذا الغم لأنه عاش حياة أساسها الكفاف والتقشف، وأخذ نفسه بالعزائم، ذلك لأن حبه لله عز وجل غلب عليه، فانتصر على بشريته، وجعل الدنيا تحت قدميه، وأراد أن يكون مثلًا أعلى وقدوة لأصحابه شعاره: ما قل وكفى خير مِمَّا كثر وألهى. وكأنه يقول: إلهى، أنت مقصودى، ورضاك مطلوبى.

وتأسى به فى ذلك أصحابه، فسعيد بن عامر لَمَّا طالبته زوجته أن يعطيها كيت وكيت، قال لهَا: (اعلمى أيتها المَرأة أن فى الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهن من أجلك) ... فالنبى ﷺ انتصر على بشريته تمامًا، أما نساؤه فإنهن تتمنى إحداهن أن تعيش حياة تُعبر عن أنها زوجة رسول الله ﷺ فطالبته برفع المُستوى، وأن يزيد النفقة ... وتلك المُشكلة حُلت بالتخيير بين الدنيا والآخرة. فبدأ بالسيدة عائشة

وقال لهَا: "إنى ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلى حتى تستأمرى أبويك" فقالت: ففى أى هذا أستأمر أبوى، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ... ثم قالت بقية أزواجه مثل ما قالته عائشة.

وفى قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ (سورة الأحزاب: ٣٠).

المَقصود إشعارهن بأن ما عليهن من أعباء عظيمة كعظم منزلتهن يُوجب أن يكون سلوكهن غاية فى الطهر والعفاف، ولتعلمن أن سمو منزلتكن ستحول بين مسألتكن ومؤاخذته لَكُنَّ إن أخطأتن.

وهذا حساب القدوة يوضحه قول سيدنا عمر حين جمع أهله وخاصته: (إنى قد نهيت الناس عن كذا وكذا وأنهم ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وأيم الله لا أوتى برجل منكم فعل الذى نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة مرتين لمَكانه منى) ومضاعفة الأجر والثواب لهُن حال الطاعة، وعمل الصالحات.

* خُطَّةُ الطُّهْر: الآيات (٣٢-٣٤):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٤)

أولًا: ألا تلين المَرأة القول بالخضوع والنعومة والضحك والتكسر، وتزيد فى ورعها أمام الأجانب من الرجال.

ثانيًا: لا يرضى الإسلام للمرأة أن تقف على خشبة المَسرح لتغنى وترقص وتحرك أجزاء جسدها، وتعبر بها عن المَعانى التى تغنيها وتظهر الدلال والأنوثة، أو تجهر بالمَعانى الفاحشة على الأنغام الراقصة فتحرك غرائز الناس ومشاعرهم ... إلخ.

ثالثًا: قال تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، وعشن فيها بسكينة ورزانة، لأنه دائرة عملها وخروجها منه لقضاء المَصالح قال ﷺ:

"من قعدت منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المُجاهدين فى سبيل الله" (البزار).

وقال ﷺ: "إن المَرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها، وهى فى مقر بيتها" (الترمذى والبزار عن ابن مسعود).

رابعا: النهى عن التبرج والسفور: والتبرج له ثلاثة معان:

الأول: أنها ترى الناس جمالهَا بإبراز جمال وجهها وجسدها.

الثانى: أنها تظهر ما عليه لباسها وزينتها أمام الآخرين.

الثالث: أنها تظهر نفسها وتلفت الأنظار إليها بتميعها وتغنجها فى القول، والمَشى والحركة ... هذا هو إجمال التبرج المَنهى عنه شرعًا.

خامسا: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، ويدخل فى هذا آل بيته الكرام: أزواجه الطاهرات، وأبناؤه الكرام الذين دعا لهُم بقوله ﷺ: "اللّٰهُمَّ هؤلاء بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا".

سادسا: قدوة نساء النبى ﷺ للأمة: فى تعلم أحكام القرآن والسنة وجميع المَعارف، والأحكام التى كان يعلمها النبى ﷺ للأمة بسيرته العطرة، وأقواله الشريفة، علاوة على توضيح آيات الكتاب الكريم.

* الرجال والنساء في الأعمال الصالحة سواء بسواء في الأجر والمَثوبة عند الله عز وجل: الآية (٣٥):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥)

* نفي الاختيار لحكم الله ورسوله المُختار: الآية (٣٦):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)

هذا هو الأصل فى الدستور الإسلامى فلا يجوز لفرد مسلم أن يعمل برأيه فى أمر ثبت فيه حكم من الله ورسوله. ولا بد أن تطيع الله عز وجل ما دامت قد اختارت أن تكون مؤمنة فالإيمان له التزامات.

والسبب الخاص لهَذه الآية: النبى ﷺ أمره الله عز وجل أن يزوج مُتبناه: زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش ...

وَنُعَرِّفْ بِهِمَا:

(أ) زيد بن حارثة كان مُتبنى النبى ﷺ قبل البعثة، فكان اسمه زيد بن محمد ... أوصافه: كان قصير القامة، شديد السُّمرة، فى أنفه فطسٌ، أما نبؤه، وخبره، ومكانته فعظيمة جدًّا، فإنه الصحابى الوحيد الذى ورد اسمه فى القرآن الكريم.

(ب) وأما زينب فهى من شريفات قريش، ابنة عمة النبى ﷺ وحينما بلغ زيد مبلغ الرجال أراد النبى ﷺ أن يزوجه من زينب بنت جحش، لكن زينب كانت تعتز بنفسها وجمالهَا، وعقلها، وبمكانتها فآلمَها أن تكون زوجًا لزيد، وكره أخوها كذلك، وقالت زينب لا أتزوجه أبدًا وأنا سيدة أبناء عبد شمس. فلما نزلت الآية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦) فما كان منها إلا أن قبلت الزواج من هذا المَولى زيد بن حارثة رضى الله عنه.

* زواج النبي ﷺ بزينب وتشهير المُرجفين: الآيات (٣٧-٣٩):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ

وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٧ ـ ٣٩)

أنعم الله عز وجل على زيد بالهِداية، وأنعم الرسول ﷺ عليه بالعتق، وكان قد تزوج زينب فى العام الرابع الهِجرى. كان زيد فى الثلاثين من عمره، وقد أمضى خمسة عشر عامًا فى خدمة رسول الله ﷺ وقد وقع الخلاف بين الزوجين زينب وزيد، وطلب من النبى ﷺ أن يطلقها، وكانت زينب ترى أن زيدًا ليس مكافئا لهَا فزادت الجفوة والنفور وانتهى الأمر بالطلاق، فى هذه الأثناء أَلْهَمَ اللهُ سولَه ﷺ أنه سيتزوج زينب وهو ﷺ يعلم معنى الزواج من مطلقة المُتبنى فى مجتمع العرب آنذاك، وهو ما سيتم فى وقت تعاديه فيه العرب جميعًا، وتردد فى الدخول فى هذا الامتحان الشديد العسير.

فلما أبدى زيد رغبته فى طلاق زينب قال له ﷺ: "أمسك عليك زوجك" فكان يحسب أنه سيتفادى الدخول فى هذا الامتحان إذا أمسك زيد زوجه ولم يطلق، وإلا فسوف يضطر للتنفيذ فتهب عليه العاصفة.

وكان الله يريد أن يرى نبيه فى المَنزلة العالية، منزلة أولى العزم الراضين بقضائه. ومن ثم رأى منعه زيد من طلاق زوجه يتفادى ما كان يخشاه من التشهير والتشنيع وتشويه السمعة ضعفا ووهنا فى حين أنه تعالى كان يريد منه أن يفعل ذلك لمَصلحة كبيرة هو يعلمها ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٧) هذا اللفظ فى هذه المُناسبة يقطع بأن النبى ﷺ لم يتزوج زينب برغبته، بل تزوجها بأمر صدر إليه من ربه عز وجل. وكان ذلك لمَصلحة وضروة لا تتحقق عن تدبير آخر غير هذا، فالتقاليد البالية كانت فاشية فى العرب حول صلات التبنى وروابطه، ولم يكن هناك حل وسبيل لتفتيتها وإزالتها سوى أن يتقدم رسول الله ﷺ بنفسه ويحطمها، فكان زواجه من زينب لأجل ضرورة هامة، وحاجة كبرى. ومثل هذا الزواج مباح لجميع الناس ولكنه كان فرضا على النبى ﷺ وتلك سنة الله مع أنبيائه وهو التنفيذ لأمر الله، والقيام به والبقاء عليه، وإن اجتمع العالم ضده، وأصر على مخالفته، والله فى هذا كاف عبده كل خوف، وحساب الناس على الله، فلا خشية من سواه.

* قفل باب الرسالات بالنبي ﷺ: الآية (٤٠):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٤٠)

الرسول ﷺ لم يقفل به باب الرسالات فحسب، بل لا يأتى بعده رسول، ولا نبى، فهو آخر المُرسلين والأنبياء، فلا نبى بعده.

وهذا يبطل أخبار الكذبة من المُتنبئين بعده ﷺ.

وقد قال ﷺ: "إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (البخاري).

وقال ﷺ "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى، وأنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء" (رواه البخارى).

* ذِكْرُ الله عز وجل وتسبيحه ووظيفة النبي ﷺ: الآيات (٤١-٤٨):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٤١ ـ ٤٨)

جاء الأمر هنا بذكر الله عز وجل كثيرا: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (سورة الجمعة: ١٠)، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٤١)، وقال ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم عن إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى" (الترمذى وابن ماجة عن أبى الدرداء)، وكلمة ذِكْرُ الله عز وجل واسعة جدًّا، تشمل التفكر والتدبر فى خلق السموات والأرض، وتلاوة القرآن، ومدارسة الحديث والعلوم الشرعية والعلوم النافعة، ومطالعة سير الرسول ﷺ والصحابة، والأمر بالمَعروف

والنهى عن المُنكر، ومواساتك للمؤمنين، ومؤانستك لهُم، والتسبيح، والتهليل، والتكبير ... كله ذكر.

وبذكركم وتسبيحكم وإيمانكم يصلى عليكم ربكم ويشملكم برحمته وشفقته، وتصلى عليكم ملائكته يقولون: ربنا أسبغ عليهم فضلك، واشملهم برحمتك، وعنايتك. ثم يُشِيعُ عنكم ربكم الذكر الحسن، والقول الجميل، فى عباد الله بحسن السيرة بين عباده ويجعلهم يثنون عليكم، ويتحدثون بمناقبكم، وتذكركم المَلائكة بالمَدح والثناء.

ثم يستقبلكم ربكم يوم القيامة مسلما عليكم : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (سورة يس: ٥٨)، وتستقبلكم المَلائكة قائلة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل: ٣٢)، وأن يسلم بعضكم على بعض قائلين: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة يونس١٠)، ثم لهُم الأجر الكريم وهو الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ نداء يوحى بأننا أمام شخصية كبيرة شرفها الله بأحسن المَنازل، وأسمى الدرجات. قال تعالى ﴿ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾، شهادة قولية، وعملية، وأخروية. وهى مسئولية على هذا النبى توحى بقدر كبير من

العظمة والجلال أن تقلدت هذا المَنصب الضخم. فأنت شاهد على أمتك وعلى الأمم ومبشِّرًا لمَن أطاعك، ونذيرا لمَن عصاك، وداعيا إلى معرفة الله عز وجل وإلى طاعته والتقرب إليه، وسراجًا منيرًا بدعوتك التى تتقرب بها إلى الله، وبصحبته يمتلئ قلبك من نور الله. فلك يا محمد مهمة التبليغ ومهمة التزكية، وبشِّر المُؤمنين. هذه بشرى للمؤمن خاصة، فإذا بشره النبى ﷺ أو بشَّره القرآن بجنَّة عرضها السموات والأرض، فهذه البشارة تمتص كل متاعبه ... واحذر أهل العناد من الكافرين والمُنافقين، ولكى تكون أقوى الناس فتوكل عليه، وفوض الأمر إليه، وأكبر نصر لك أنك فى طاعته، وأكبر هزيمة لعدوك أنه فى معصيته.

* الطلاق قبل المَساس: الآية (٤٩):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٩)

يخاطب الله سبحانه عباده المُؤمنين فيقول: يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم عقد الزواج على المُؤمنات وتزوجتموهن، ثم طلقتموهن من قبل أن تقربوهن فليس لكم عليهن حق فى العدة تستوفون عددها عليهن،

لأنكم طلقتموهن قبل المَسَاس، فذا لا يستلزم احتباس المَرأة فى البيت، وجلوسها فى العدة، من أجل صيانة نسبكم، لأنكم لم تعاشروهن، فليس هناك احتمال للحمل، فالواجب عليكم أن تمتعوهن بدفع ما تطيب نفوسكم لهُن، وتكرموهن بشيء من المَال أو الكسوة تطييبا لخاطرهن، وتخفيفا لشدة وقع الطلاق عليهن، وأن تفارقوهن بالمَعروف فلا تؤذونهن بقول أو عمل، ولا تحرموهن مِمَّا وجب لهُن عليكم من حقوق، فإن ذلك من مقتضى إيمانكم، وطاعتكم لله عز وجل.

* أحكام زواج النبي ﷺ: الآيات (٥٠-٥٢):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ * تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ

مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٠ ـ ٥٢)

أحلَّ الله تعالى لنبيه ﷺ صنوفًا من النساء:

* (المَمهورات) صنف يدفع له المَهر.

* (المَملوكات) صنف يتمتع به بملك اليمين.

* (المُهاجرات) صنف من أقاربه من نساء قريش، ونساء بني زهرة.

* (الواهبات) أنفسهن، صنف ينكحه بدون مهر.

وقد خص البارى جلَّ وعلا رسوله الكريم فى أحكام الشريعة بخصائص لم يشاركه فيها أحد، وذلك توسعة عليه، وتيسيرًا له فى نشر الرسالة وتبليغ الدعوة، فتزوجه بأكثر من أربع، واختصاصه بنكاح الواهبات أنفسهن بدون مهر، وعدم وجوب القسْم عليه بين الأزواج، كل ذلك خاص به ﷺ تشريفا له وتكريمًا. وإظهار لمَقامه السامى عند الله تعالى، روى مسلم عن عائشة أنها قالت: "كنت أغَار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ

وأقول: أما تستحى امرأة أن تهب نفسها لرجل!! حتى أنزل الله تعالى:

﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥١)

فقلت: "ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك" (البخاري).

وخلاصة الآيات: يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى أعطيتهن مهورهن، وأحللنا لك ما ملكت يدك من السبى فى الحروب، وأحللنا لك قريباتك من بنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك، اللاتى هاجرن معك، وأحللنا لك النساء المُؤمنات الصالحات، اللواتى وهبن أنفسهن حبا فى الله وفى رسوله، ورغبة فى التقرب لك، إن أردت أن تتزوج من شئت منهن بدون مهر خالصة لك من دون المُؤمنين، قد علمنا ما فرضنا على المُؤمنين فى زوجاتهم، ورفيقاتهم من شرائط العقد، ووجوب المَهر فى غير المَملوكات، وأما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيرًا لك، لكيلا يكون عليك ضيق أو حرج ولك ـ أيها الرسول ـ أن تترك من زوجاتك من تشاء، وتضم إليك من تشاء، وتقْسم لمَن تشاء منهن، وأن تراجع بعد الطلاق من تريد، ذلك أقرب أن ترتاح قلوبهن لعلمهن أنه بأمر الله وترخيص لك، فَيَرْضَيْن بكل ما تفعل، ويَقبلْن به عن طيب نفس، وكان الله عليما بما انطوت عليه القلوب، حليما لا يُعاجل بالعقوبة لمَن خالف أمره وعصاه.

ولقد كان النبى ﷺ على تسعة نسوة وقتها، فتكريما لهُن، وتطيبا لخاطرهن، سمح الله عز وجل استثناء أن تبقى عنده جميع النسوة، لكن دون أن يزيد عليهن ولا أن يبدل إحداهن بأخرى، وهذا خاص به ﷺ.

شُبْهَةٌ وَرَدٌّ عَلَيْهَا:

شكك أعداء الإسلام فى النبى ﷺ والطعن فى رسالته ليشككوا المُؤمنين فى دينهم. يقولون: لقد كان محمدٌ رجلا شهوانيا فعدد الزوجات إلى عشر سيرًا مع الشهوة، وميلًا مع الهَوى ...

رَدُّالشُّبْهَة:

أولا: لم يعدد الرسول ﷺ زوجاته إلا بعد بلوغ سن الشيخوخة، وقد جاوز سنّ الخمسين.

ثانيا: جميع زوجاته (أرامل) ما عدا أمنا عائشة فهى بكر ... ومن هنا ندرك تفاهة وبطلان هذه الفرية، ولو كان كما يدعون لعدد فى سن الشباب، وتزوج الأبكار الشابات ... وقد كان تعدده لحكم: تعليميه، واجتماعية، وتشريعية، وسياسية. (أفردتها ببحث مستقل).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* من آداب الوليمة: الآيات (٥٣-٥٥):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٥٤ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۖ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣ ـ ٥٥)

أمر الله سبحانه عباده المُؤمنين أن يتأدبوا بالآداب الإسلامية الكريمة ويتمسكوا بما شرعه لهُم من التوجيهات والإرشادات الحكيمة، التى بها صلاح دينهم ودنياهم، وخاصة مع النبى ﷺ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَمَقَامُ النبى ﷺ لا يُعادله مقام، وإيذاؤه سواء كان بالقول أو الفعل من أعظم الكبائر عند الله.

وقد ألزمنا الله سبحانه بتلك الآداب الفاضلة، وأمرنا بالتمسك بها، حتى يتحقق المُجتمع الفاضل الذى ينشده الإسلام. وقد تضمنت هذه الآيات أمرين هامين:

الأول: الأدب فى أمر الطعام والاستئذان ودخول البيوت: (أدب الوليمة).

الثانى: الأدب فى مخاطبة النساء، وعدم الاختلاط بهن أو الخلوة.

(أدب الحجاب الشرعى):

يقول سبحانه ما معناه: يا أيها المُؤمنون لا تدخلوا بيوت النبى إلا بعد الإذن، ولا تترقبوا أوقات الطعام فتدخلوا عليه فيها، أو تنتظروا أن يحين وقت نضج الطعام فتستأذنوا عليه فى الدخول، إلا إن كنتم مدعُوِّين إلى وليمة قد أعدَّها لكم رسول الله ﷺ، ومع ذلك إذا دعيتم وطعمتم فاخرجوا وتفرقوا ولا تثقلوا على الرسول ﷺ بالجلوس بعد الطعام، فإن حياءه يمنعه أن يأمركم بالانصراف، أو يظهر لكم الامتعاض من جلوسكم فى بيته، فهو ذو الخلق الرفيع، والقلب الرحيم، لا يصدر منه إلا ما يسركم. فلا يليق بكم أن تثقلوا عليه، أو تؤذوه فى نفسه أو أهله، وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات، فاسألوهن من وراء حاجز وحجاب،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن ذلك أزكى لقلوبكم وقلوبهن، وأنفى للريبة، وأبعد عن التهمة، وأطهر لبيت النبوة.

ولا يليق بكم ـ أيها المُؤمنون ـ أن تؤذوا رسولكم، الذى هداكم الله به، وأخرجكم من الظلمات إلى النور، فهو كالوالد لكم، وأزواجه كالأمهات لكم، وهل يصح لمُؤمن أن يتزوج أمه؟ فلا تؤذوه فى حياته، ولا بعد مَمَاته، ولا تتزوجوا بأزواجه من بعده أبدًا، فإن إيذاء الرسول، ونكاح أزواجه من بعد وفاته، ذنب عظيم عند الله، لا يغفره الله لكم أبدًا، وهو عند الله بالغ الذنب والعقوبة ... ونساء النبى ﷺ لهُن أن يظهرن أمام آبائهن ومحارمهن كما هى حال سائر المُؤمنات.

*** الصلاة على النبي ﷺ والنهي عن إيذائه: الآيات (٥٦-٥٨):**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ (سورة الأحزاب: ٥٦ ـ ٥٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يخبر المَولى جل وعلا بما ناله الرسول الكريم، من جاه عظيم، ومنزلة سامية، ومكانة رفيعة عند الله تعالى، وماله من السيادة والمَقام المَحمود فى المَلأ الأعلى، وما خص الله به من الثناء العاطر، والذكر الحسن، فيقول ما معناه: إن الله تعالى يرحم نبيه، ويعظم شأنه، ويرفع مقامه، وملائكته الأطهار، وجنده الأبرار، يدعون للنبى ﷺ، ويستغفرون له، ويطلبون من الله عز وجل أن يبارك نبيه محمدًا ويمجده، وينيله أعلى المَراتب، ويظهر دينه على جميع الأديان، ويجزل له الأجر والثواب على ما قدَّم لأمته من خير عميم، وفضل جسيم، راجين أن يُعلى قدره، ويرفع درجته، وتسود شريعته. ويبعثه مقاما محمودًا.

فيا أيها المُؤمنون صلوا أنتم عليه، وعَظِّموا أمره، واتبعوا شرعه، وأكثروا عليه من الصلاة والتسليم، فحقه عليكم عظيم. ومهما فعلتم فلن تؤدوه حقه. فقد كان المُنقذ لكم من الضلالة إلى الهُدى،وبه أخرجكم الله من الظلمات إلى النور، فادعوا الله أن يجزيه عنكم خير الجزاء.

ثم أخبر تعالى أن الذين يؤذون الله ورسوله قد استحقوا غضب الله ولعنته عليهم فى دنياهم وأخراهم. وأن الله أعدَّ لهُم عذابا شديدًا لا يُدْرَك كُنْهُهُ، ولا يُعرف هَوله ... وكذلك الذين آذوا المُؤمنين والمُؤمنات، فنسبُوا إليهم ما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم يفعلوه، وتقوَّلوا على ألسنتهم مالم يقولوه، هؤلاء الذين فعلوا ذلك لهُم ـ أيضا ـ عذاب أليم فى الدنيا والآخرة جزاء ما اقترفوا من سيئ الأعمال.

* حجاب المَرأة المُسلمة: الآية (٥٩):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩)

يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يوجه النداء إلى الأمة الإسلامية جمعاء، بأن تعمل على التمسك بآداب الإسلام، وإرشاداته الفاضلة، ونظمه الحكيمة، التى بها صلاح الفرد وسعادة المُجتمع، وخاصة فى أمر اجتماعى هام، يتعلق بالآسرة المُسلمة، وهو (الحجاب الشرعى) الذى فرضه الله على المَرأة المُسلمة، ليصون لهَا كرامتها، ويحفظ عليها عفافها، ويحميها من النظرات الجارحة، والكلمات اللاذعة، والنفوس المَريضة، والنوايا الخبيثة، التى يُكنُّها الفُساق من الرجال للنساء غير المُحتشمات، فيقول الله تعالى ما معناه: يأيها النبى ص بلغ أوامر الله إلى عباده المُؤمنين وابدأ بنفسك فمر زوجاتك أمهات المُؤمنين الطاهرات، وبناتك الفضليات الكريمات، أن يرتدين الجلباب الشرعى، وأن يحتجبن عن أنظار الرجال، ليكن قدوة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لسائر النساء فى التعفف والتستر، والاحتشام حتى لا يطمع فيهن فاسق، أو ينال من كرامتهن فاجر، وأمر سائر نساء المُؤمنين أن يْلبسن الجلباب السابغ الذى يستر محاسنهن، ويدفع عنهن ألسنة السوء، وأمرهن كذلك أن يُغطين وجُوههن وأجسامهن بجلابيبهن، ليُمَّيزن عن الإماء والقينات، فلا يكنَّ هدفًا للمغرضين، ولْيكنَّ بعيدات عن التشبه بالفواجر، فلا يتعرض لهُن إنسان بسوء، فذلك أقرب إلى أن يعرفن بالعفو والصون، فلا يطمع فيهن من فى قلبه مرض ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يغفر لمَن امتثل أمره، رحيما بعباده حيث لا يشرع لهُم إلا ما فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة.

*** تهديد ووعيد للمنافقين: الآيات (٦٠-٦٨):**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا

وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

(سورة الأحزاب: ٦٠ ـ ٦٨)

وعيد شديد وتهديد للمنافقين والمُرجفين وللذين فى قلوبهم مرض وهم دائما يريدون السوء بالمُؤمنين فهم يروجون للأخبار السيئة لإضعاف عزيمة المُؤمنين، وذلك لِمَا تحمله قلوبهم من الأمراض كالحسد، والحقد، والغل، والكبر، والإستعلاء، والرغبة فى أن تبنى مجدك على أنقاض الآخرين، أو تقول على الله عز وجل ما لاتعلم لمَصلحة تريدها، وحبك لنفسك وكراهيتك الخير للآخرين، والشعور بأنك بمنجاة من المُصاب العام ولا يعنيك أمر المُسلمين أو أن تكون فى بحبوحة من العيش والناس فى ضائقة، وشعورك بأنك فوق الناس وكلهم هلكى إلا أنت، وأنانيتك وأثرتك ونسيت بأن من لم يهتم بأمر المُسلمين فليس منهم، فتتأصل فيك الأمراض النفسية، فيقسوا القلب كالصخر، وتظل فى اضطراب وقلق، وتتقلب بين الخوف والألم، والرجاء واليأس، وينطلق لسانك خوضا فى أعراض الناس، زاعما لنفسك العصمة ولغيرك الزلل، فتوهن عزائم الناس وقوتهم، وتسيء الظن بهم ... فتلقى فتنة، أو تنشر شبهة، أو تشوه سمعة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنسان مؤمن، أو امرأة مؤمنة أو تضعف الثقة بين الإنسان وأخيه، أو تفسد الناس على علمائهم، أو أن تقطع ما أمر الله به أن يوصل، هذا كله من صفات المُنافقين والكفار وقد توعدهم الله سبحانه على ذلك باللعن والطرد من رحمته فى أى مكان وزمان فى دنياهم وأخراهم ... فإذا تلبس الإنسان بأحد تلك الصفات : النفاق ومرض القلب والإرجاف بالشائعات الكاذبة فهناك وعيد من الله عز وجل أن يمحقه ويهلكه، ويحجزه عن عمله، وتلك سنة من الله ماضية فيمن خالف ونافق وتظاهر بالصالحات، وأضمر فى قلبه السيئات ... وكان أولئك المُنافقون والكفار يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة، غير مبتغين العلم والمَعرفة بها حقيقة، ولكنه سؤال سخرية واستهزاء، لأنهم غير موقنين بالآخرة، بل هو تخويف وترهيب من النبي محمد ﷺ لهُم. لذلك كان جواب القرآن لهُم: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٦٣ ـ ٦٨)

* النهي عن أفعال اليهود: الآية (٦٩):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٦٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يأيها المُسلمون لا تفعلوا كما فعل اليهود، ولا ينبغى أن يكون سلوككم مع نبيكم مثلما فعلت اليهود مع موسى عليه السلام حيث آذوه، وكذَّبوه، وسفَّهُوا دعوته، ولم يلتفتوا إلى أمر الله عز وجل، فأية معارضة، أو استخفاف أو استهزاء، أو تكذيب أو تفنيد، أو تجريح بدعوة النبى ﷺ إيذاء له وأى إيذاء، والإيذاء للنبى ﷺ أن تكذب، وتسخر، وتستهزئ، وتعرض، وتفند، ولا تكترث بدعوته ﷺ.

وقد انطلقت أفاعى المُنافقين لتستأصل دعوة النبى ﷺ ولكن: أنى لهُم ذلك.

عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ ﴾ قال: قال قومه له: إنك آدر، فخرج يوما يغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، فخرجت الصخرة تشد ثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بنى إسرائيل، قال: فرأوه ليس بآدر. فذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل، وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة عند الله.

* معرفة الله عز وجل وطاعته: الآيات (٧١-٧٣):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٧١ ـ ٧٣)

من لوازم الإيمان بالله الطاعة، والطاعة لا تكون قبل المَعرفة، والمَعرفة الحقيقية لا تثمر إلا التقوى، فالعقيدة الصحيحة تفرز قولا سديدا، والقول السديد يفرز عملا صالحًا. وإذا زَلَّ العبد فطريق الغفران واضح، وباب التوبة مفتوح، وإذا عرفت الله عز وجل وأطعته وسرت فى طريق مرضاته، واعتقدت أن الفوز العظيم هو طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، والعبودية لله عز وجل هى هدفك الأكبر فهنيئا لك فقد عرفت سِرَّ السعادة.

والأمانة أن يعرف الإنسان ربه، وأن يزكى عمله، وألا يكون جهولًا لربه، وألا يكون ظلومًا لعمله. وليعلم الإنسان الذى قبل أمانة التكليف أن الله عز وجل هَيَّأَهُ لذلك بهذه المُقومات:

أولًا: سخر له الكون: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة البقرة: ٢٩) وقال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (سورة الجاثية: ١٣) فالكون أول مقوم من مقومات الأمانة، ويستحيل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على الإنسان فى الدنيا أن يرى الله، لأن ماديته لا تحتمل. ولكن إذا نظرت إلى خلق الله عرفت الله: وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

ثانيًا: العقل: وهوأداة معرفة الله عز وجل، فالإنسان كائن أودع الله عز وجل فيه قوة تعرّفية إدراكية، فيفهم، ويعقل، ويدرك، وهذا هو مناط التكليف.

فلولا العقل ما كُلف الإنسان. وهذا العقل يتوافق فى مبادئه مع مبادئ الكون، ففى الكون نظام السببية، والعقل لا يفهم الشيء إلا عن طريق السبب، وفيه نظام الغائية، والعقل لا يفهم الشيء إلا بغاية كافية لوجوده والكون ليس فيه تناقض والعقل كذلك، فبإمكان العقل أن يحكم بوجود خالق هذا الكون، وبإمكانه إذا قرأ هذا القرآن أن يكشف إعجازه، فيحكم بأنه كلام الله، ويستنبط أن الذى جاء به رسول الله ﷺ.

ثالثًا: الشهوة التى أودعها الله عز وجل فيك لترقى بها إلى الله، فإذا غضضت البصر عن محارم الله ارتقيت إلى الله عز وجل ، وإذا صبرت عما نهى الله عنه ارتقيت إلى الله عز وجل.

رابعًا: الفطرة. فطرك الله عز وجل فطرة عالية نقية بيضاء ليلها كنهارها، فإذا انحرفت عن الله عز وجل تشعر بالانقباض، ووخز الضمير، والكآبة والألم.

خامسًا: حرية الاختيار: لايمكن أن يكون لعملك قيمة إلا إذا كنت مخيَّرا، وإذا لم تكن كذلك، فلا جنة ولا نار، ولا حساب، ولا عقاب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادسًا: العقل قد يضل، والفطرة قد تطمس، فأنزل الله عز وجل لك شرعًا وجعله ميزانا على العقل والفطرة. فالكتاب يعرفك إلى ذاتك وإلى ربك، ويطلعك على بداية الخلق، وعلى ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، ومهمتك فى الدنيا أن تعمل بما علمت، وأن تعرف الله عز وجل، وأن تزكى نفسك، وأن تحسن إلى الخلق حتى تتأهل لتكون إلى الأبد فى جنة عرضها السموات والأرض.

لذلك يجب أن نعرف من نحن؟ ولمَاذا نحن فى الدنيا؟ وما سيكون بعد المَوت؟ فقال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

المُنافقون والمُنافقات عاشوا فى مجتمع إسلامى، ومن أجل مصالحهم نافقوا لكنهم فى الحقيقة كفار، ومصيرهم الدرك الأسفل من النار.

والمُشركون والمُشركات، فإنهم ما رأوا ربهم هو كل شيء، بل رأوا آلهَة كثيرة فى الدنيا، فتشعَّبت نفوسهم وتمزَّقوا، وتبعثروا، وتشرذموا، فكان مصيرهم البوار، وسكناهم جهنم وبئس القرار.

أما المُؤمنون والمُؤمنات فقد عرفوا منذ وقت مبكر لمَاذا هم فى الدنيا، فأجهدوا أنفسهم ليل نهار فى العمل لمَا بعد المَوت، حتى إذا حضرت ساعتهم كانوا فى أعلى درجات السعادة، فالمَوت عرس المُؤمن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

لأنه عرف ربه، وعرف نفسه، وعرف منهج مولاه فأطاعه، فسعد.

فهو منضبط محسن، سعيد فى الدنيا والآخرة. وكانت مغفرة الله له سابقة ولاحقة، فهنيئًا للمحسنين.

أ د / السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في